كليلة ودمنة

نقد وتعليق

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

« كتاب دهرىّ الصَّنعة ، متقادم الميلاد » ، أفرغت فيه حكم الدنيا ومواعظ الأجيال ، وكان عجباً عاجباً وأدباً خالداً ! !

وكان اختيار مطبعة المعارف لهذا السِّفر الجليل أن يكون تذكاراً لنيدها الحميني — اختياراً موفّقاً كل التوفيق ، فبرهنت بذلك أنها تحسن هذا الأمر وتجيده

وأما الرجل الذى وُكِلَ إليه الاضطلاع بعبء نشر الكتاب وتحقيق مواضع الشُّبه فيه والحكم عليها ، فرجل هَدَّكَ من رجل !

فالدكتور عبد الوهاب عزام قطب من أقطاب الثقافة العربية كما هو من الثقافة الفارسية . فكان بذلك خير من يتصدّى لمثل « كليلة ودمنة » ، لينشره على الناس فى هذا الثوب الرائع الفائق ، وليجهد نفسه فيه هذا الإجهاد المثمر الطيب

وإنى لأبادر فأهنئ الأستاذ عزام تهنئة صادقة ، لِمَا أحيا « كليلة ودمنة » على نحو ينتبط له ابن المقفع فى مثواه ، ويغتبط له أيضاً ذلك الجندى المجهول الذى صنع للناس هذا الكتاب فى أصله الهندى ، ثم تركه يسير فى الدنيا كريماً عزيزاً ، تتهاداه اللغات ، وتتنازعه اللجات ، وينتبط له كذلك أنصار الأدب العربى فى المشرقين والمغربين

كما أزجى تهنئتى إلى رجال مطبعة المعارف ، منوّهاً بهذا الفن العجيب الذى أبرز الكتاب تحفة تاريخية ناطقة . وإن كان للنشر أدب خاص ، فهذا الكتاب منه قطعة أدبية عالية ؛ وإن للألواح الثلاثة عشر التى رسمها المصور « رومان ستريكانفسكى » لأثراً كبيراً فى إحداث هذا الجو الفنى البهيج

وقد صنع الأستاذ عزام لهذا الكتاب مقدمة بلغت من النفاسة مبلغاً ، وحوت من الفوائد الكثير ؛ فهو قد عرض لتاريخ الكتاب ، وبيّن أن النسخة العربية « أصل لكل ما فى اللغات الأخرى ، حاشا الترجمة السريانية الأولى ، فقد فُقد الأصل الفهلوى الذى أخذت عنه الترجمة العربية ، وفُقد بعض الأصل الهندى الذى أخذت عنه الترجمة الفهلوية واضطرب بعضه ، فصارت النسخة العربية أمّا يرجع إليها من يريد إحداث ترجمة أو تصحيح ترجمة قديمة ، بل يرجع إليها من يريد جمع الأصل الهندى وتصحيحه »

ثم تحدّث عن طبعات الكتاب ، فذكر :

١ — طبعة المستشرق دى ساسى التى كانت طبعته أصلاً من أصول الطبعات المصرية الكثيرة ؛ وهى نسخة ملفقة من عدة نسخ

٢ — ثم طبعتى اليازجى وطبارة ، وهما ملفقتان من طبعة دى ساسى ومخطوطات ومصورات أخرى

٣ — ثم طبعة شيخو ، وهى أول طبعة فى اللغة العربية تقدم للقراء نصّاً كاملاً غير ملفق من كتاب « كليلة ودمنة » وأصلها مخطوط سنة ٧٣٩ هـ ؛ وقد طبعه شيخو كما هو لم يصحح أغلاطه ولم يوضح غامضه ، ليكون أمام المستشرقين صالحاً للمقارنة والنقد

ثم تحدث عن النسخة التى نقلت عنها الطبعة الحديثة ، وهى فى مكتبة أيا صوفيا باسطنبول كتبت سنة ٦١٨ ، فهى أقدم من كل المخطوطات التى وصفها المستشرقون ، وأقدم من نسخة شيخو المكتوبة سنة ٧٣٩

وهذه النسخة مفعمة بالتحريف والتصحيف والأسقاط وخطأ الرسم ؛ وتستطيع أن تعد فى النموذج المصور من الصفحة الأولى فقط[1] نحو اثنى عشر تحريفاً وتصحيفاً

وهذا يدل على مقدار الجهد الهائل الذى بذله الأستاذ عزام فى تحقيق هذه النسخة وتقريبها إلى السلامة

ونحن فى هذا الصدد نأخذ على الأستاذ أنه لم يتوخ فى هذه الناحية ما يقتضيه النشر العلمى من إثبات الأصل والتنبيه عليه ؛ فقد يكون للقارئ وجه فى التصحيح غير الذى ارتضى . نعم ، إن الأستاذ قد أثبت بعض كلمات الأصل فى التعليقات التى ألحقها بالكتاب ، لكنها من القلة بحيث لا تغنى شيئاً فى معرفة أصل الكتاب والوقوف عليه

وأمامنا جهود المستشرقين ناطقة بمدى تقديرهم لهذه الناحية التاريخية الفنية ، فلا تكاد تجد كتاباً نشروه إلا وقد أثبتوا أصله أو أصوله إن كان ذا نسخ مختلفة

وكتاب مثل كتابنا هذا ، لَبِسَ من جلال التاريخ ما لَبِس ، جدير بما ذكرت من وجوب بيان أصله للرجوع إليه ، ووجوب مقارنة نسخه بعضها ببعض

(١) ص ٢٣ من المقدمة

ولغة ابن المقفع فى « كليلة ودمنة » لغة عالية ، تعلو على المتأدب والأديب أيضاً ، فهى محتاجة إلى توضيح وتقييد وبيان . فكان من المستحسن أن يصنع الأستاذ لها شرحاً أو معجماً يلحقه بنهاية الكتاب ، كما فعل من قبلُ الخورى نعمة الله الأسمر ، حينما نشر ترجمة ابن المبارك لكليلة ودمنة ، مع أن لغة هذا النظم فى مستوًى دون مستوى ترجمة ابن المقفع

على أن الأستاذ قد أحسن صنعاً بما حقق من الأعلام الفارسية والهندية ، مما يشهد له بتمام البراعة فى ذلك

* * *

قرأت نسخة الأستاذ عزام ، ونسخت — كما نسخ غيرى — بما فيها من دقة وجمال ، فطالعنى فيها خير كثير ومقدرة فنية عظيمة ، كما ظهرت لى بعض هنات أحببت أن أنبه عليها ، وبدا لى بعض الرأى فى عبارات الكتاب ، فآثرت أن أنشره راجياً أن يساعدنى المَنتُ ، ويفارقنى التكلف ، وأن يسعفنى فى ذلك الحق

١ — فى الضبط اللغوى

١ — ص ٣٦ س ٦ : (كالعظم المتمرّق) بكسر الراء ، صوابه : (المتمرّق) بفتح الراء المشددة . يقال مرق العظم يمرقه مرقاً ، وتمرقه ، واعترقه : أكل ما عليه من اللحم

٢ — ٨١ : ٥ ، ٦ : (ولكن النفس الواحدة يقتدى بها أهلُ البيت ، وأهل البيت تقتدى بهم القبيلة ، والقبيلة يقتدى بها المصر) . الوجه : (يُقتَدَى) و (تقتَدَى) بالبناء للمجهول فيهما . فأهل البيت ، وكذا القبيلة والمصر لا يفعلون الاقتداء ، وإنما يفعل بهم ذلك غيرهم فهم مقتَدون . ومن ذلك ما قال كعب بن سعد الغنوى[1] :

فلو كان حىٌّ يُفتَدى نفديتُه بما لم تكن عنه النفوس تطيب

٣ — ٨٧ : ٦ : (ولا تفتر إليه) ، ولا يقال (اغتر إليه) بل (اغتر به) . على أن جر العبارة يؤذن بأن صحتها : (ولا تقترب إليه) فليس فيما سبقها من الكلام ما يشعر بأن « شزبة » قد يتعرض للاغترار أو يقع فيه

٤ — ٩١ : ١٢ : (وندفن بقيتها مكاناً حريزاً) . وهذه عبارة غير صحيحة . والصواب : (فى مكان حريز) فإن الفعل (دفن) لا يتعدى إلى ثان إلا بالحرف (فى) . وليس هذا أيضاً من المواضع التى يكون فيها لفظ (مكان) ظرفاً من الظروف المكانية ؛ فإن اسم المكان الصالح للظرفية إما أن يشتق من حدث بمعنى الاستقرار والكون فى مكان ، أو لا . والثانى لا ينتصب على الظرفية إلا بالفعل الذى ينتصب به على الظرفية المختص من المكان كدخلت ونزلت وسكنت . وذلك نحو المضرب والمقتل والمأكل والمشرب

والأول (ومنه لفظ مكان) إنما ينصبه على الظرفية أمران : أحدهما الفعل المشتق مما اشتق منه اسم المكان نحو قمت مقامه ، وجلست مجلسه ، وأويت مأواه ؛ وثانيهما كل ما فيه معنى الاستقرار وإن لم يشتق مما اشتق منه ، نحو قعدت موضعك ، ومكان زيد ، وجلست منزلَ فلان ، ونمت مبيته ، وأقمت مشتاه . وما ليس فيه معنى الاستقرار لا ينصبه ، فلا يقال كتبت الكتاب مكانك ، وقتلته مكان القراءة ، وشتمتك منزل فلان[1]

وليس « الدفن » من الاستقرار فى شىء ، فلا ينصب لفظ « المكان » على الظرفية المكانية

وقد جاء فى نسخة بولاق[2] ص ٤٩ : « وندفن الباقى فى أصل هذه الشجرة ، فهو مكان حريز »

٥ — ٩٥ : ١٣ « وبلاء يضيّع عند من لا شكر له » البلاء هنا بمعنى الإنعام . وفى ترجمة ابن المبّارك ص ٩٥ :

ما أضيع النعمة عند الكافر وأقبح الحلّة عند الساحر

وبين اللغويين خلاف فى أن يكون البلاء بمعنى الإنعام ؛ فقال بعضهم : « الإبلاء : الإنعام . والبلاء : الإشقاء والإنعاس » . أما الإبلاء بمعنى الإنعام فلا خلاف فيه . ومنه قول زهير[3]

رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

أى صنع بهما خير الصنيع . والحق أن الإنعام إنما هو الإبلاء لا البلاء . ومنه الحديث : « من أُبلى فذكر فقد شكر » وحديث كعب بن مالك : « ما علمت أحداً أبلاه الله خيراً مما أبلانى »[4]

وقد احتج من زعم أن « البلاء » يكون أيضاً بمعنى الإنعام بقوله تعالى : « وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين » وقوله : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » وردّ عليه بأن البلاء فى الآية الأولى

(١) أمالى القالى (٢ : ١٤٩)

(١) انظر همع الهوامع (١ : ١٩٩) وشرح الرضى الكافية (١ : ١٦٩ — ١٧٠)

(٢) كليلة ودمنة طبع بولاق سنة ١٢٥١

(٣) فى ديوانه ٢١

(٤) نهاية ابن الأثير ولسان العرب

بمعنى الاختبار لا الإنعام . وكذلك «نبلوكم» أريد بها : «نختبركم»

وجاء فى نسخة بولاق ص ٥١ : « وحباء يصطنع عند من لا شكر له » . والحباء ، بالكسر : العطاء

٦ — ٢٢١ : ١٥ : « ولكن إيش الفائدة فيها » بكسر الهمزة ، وهذا ضبط عامى ؛ والصواب : (أَيْشِ) بفتح الهمزة وتنوين الشين المكسورة ، وأصلها : (أىّ شىء ؟) خفّفت بحذف الياء الثانية من (أىّ) وحذف همزة (شىء) بعد أن نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، ثم أعلّت إعلال المنقوص . ونحوها فى ذلك (وَيْلُمِّهِ) ، أصلها : (ويلٌ لأمّه) ، حذفت لام (ويل) وهمزة (أمّ) . قال المتنخل الهذلى[1] :

ويلمِّه رجلاً تأتى به غبناً إذا تجرّد لا خال ولا بخلُ

وقال ذو الرّمة[2] :

ويلمِّها روحةً والريحُ معصفةٌ والليث مرتجزٌ والليل مقترب

وقال علقمة بن عبدة[3] :

ويلم أيام الشباب مميشةً
مع الكثر يُعطاه الفتى المتلف النّدى

قال ابن السّيد فى الاقتضاب[4] : « حذف لام ويل وهمزة أمّ ، كما قالوا أيش لك ، يريدون : أى شىء ؟ » . وقال الخفاجى فى شفاء الغليل : « أيش بمعنى أى شىء خفف منه . نص عليه ابن السيد فى شرح أدب الكاتب ، وصرحوا بأنه سمع من العرب . وقال بعض الأئمة : جنّبونا أيش ؛ فذهب إلى أنها موادة . وقول الشريف فى حواشى الرضى أنها كلمة مستقلة[1] بمعنى أى شىء وليست مخففة منها ، ليس بشىء . ووقع فى شعر قديم[2] أنشدوه فى السير :

من آل قحطان وآل أيش »

قال السهيلى فى تفسيره : « وأما آل أيش فيحتمل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين ينسبون إلى أيش . فإن يكن هذا وإلا فله معنى فى المدح غريب . تقول فلان أيش هو وابن أيش ! ومعناه : أى شىء عظيم ؛ فكأنه أراد من آل قحطان ومن المهاجرين الذين يقال فيهم مثل هذا ، كما تقول : هم وما هم ! وزيد وما زيد ، وأى شىء زيد ! وأيش فى معنى أى شىء كما يقال ويله فى معنى ويل أمه ، على الحذف وكثرة الاستعمال . وهذا كما قال هو : فى جيش وأى جيش ! »

(له بقية) عبد السلام محمد هارون

(١) أدب الكاتب ١٨٣ سلفية والاقتضاب ٣٦٣
(٢) خزانة الأدب (٣ : ٢٤٨ سلفية)
(٣) الخزانة (٣ : ٢٥٣ سلفية)
(٤) الاقتضاب ٣٦٥ . وانظر أيضاً تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة الجواليقى ص ٤٧

(١) فى الأصل : « مستعملة »
(٢) هذا وهم . والصواب أنه سجع كاهن . وقد ذكره السهيلى فى (١ : ١٣٨) . وهو قول خطر الكاهن : « والحياة والعيش ، إنه لمن قريش ؛ ما فى حلمه طيش ، ولا فى خلقه هيش ، يكون فى جيش ، وأى جيش ، من آل قحطان وآل أيش »

إلى هواة المغناطيسية والى المصابين بالاضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية عن شرح طرق وتدريبات تعلمك كيف تتخلص من الخوف والوهم والخجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن العلل والآلام الجسدية وفى تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسى والحصول على ديلوم فى هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصرى بشبرة بمصر وارفق بطلبك ١٥ مليما طوابع للمصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .

هكذا أغنى

الشاعر الخالد

محمود حسن اسماعيل

أرقى مثال لنهضة الشعر العربى

تباع بقية نسخ الطبعة الأولى
« بدار الكتب الأهلية »
بميدان الأوبرا
بسعر النسخة ١٠ قروش خلاف البريد